صاحب الجلالة يحضر الدرس الثاني من الدروس الحسنية ويتحدث في نهايته عن الثقافة

الرباط ـ ترأس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بالقصر الملكي الدرس الثاني من سلسلة الدروس الدينية الرمضانية، وقد ألقى درس اليوم الدكتور فاروق النبهان مدير دار الحديث الحسنية حول موضوع **« منعطفات في مسيرة الثقافة الاسلامية » انطلاقا من قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم ».**

وبعد اختتام الدَّرس، عقب جلالة الملك الحسن الثاني على هذا الدرس بكلمة جاء فيها :

قبل أن نرفع الجلسة، نريد قبل كل شيء أن نؤكد أن مجلسنا هذا هو منبر حر لكل من يحمل شهادة العالمية حتى يتمكن كل واحد منكم أن يدلي بنصيبه ويقوم بواجبه، واجب التعليم العالي وواجب النصح، ولم يكن سمعنا لمواقف ضد مواقف ليقلقنا أو ليروع بالنا، لأننا منذ طفولتنا حضرنا مجالس والدنا محمد الخامس طيب الله ثراه، وكانت تلك المجالس لا تعقد ليلا، بل كانت تعقد بين صلاتي الظهر والعصر، وفي أيام الصيف، وبحضور علماء لم يكونوا من مدرسة واحدة، بل حتى من الناحية الوطنية لم يكونوا على صفة واحدة، وقد استمعت الى مناقشات ونظرت شرارات وحضرت مقارعات، وكان والدنا رحمه الله يتلقى ذلك بابتسام وبانشراح وبسعة صدر.

موضوع الثقافة هو موضوع الوقت، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى حينما أمر نبيه باقرأ، كان يعلم أنه لا يكتب ولا يقرأ، ولكن كان من الضروري أن يجسم علم النبي وثقافته، فجسمهما في القراءة، تلك القراءة التي ستفتح الآفاق والتي بازدواج أو تثليث اللغات ستفتح المجال للثقافة.

وحينما نرى في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أدبني ربي فأحسن تأديبي »، والله يقول في النبي صلى الله عليه وسلم : « وإنك لعلى خلق عظيم »، معنى هذا كله أن الله سبحانه وتعالى أراد لنبيه الكمال، وإذا كنا نحن نريد لأنفسنا الكمال، لشعبنا وللشعوب العربية والاسلامية وللشعوب كافة، لماذا للشعوب كافة؟ لأننا إذا نحن لم نطلب الكمال إلا للشعوب الشقيقة والصديقة، بقيت الشعوب الأخرى غلفا، وتسلط جهلها على علمها، فلهذا إذا نحن طلبنا شيئا من الله، فلنطلب منه الثقافة والعلم والتهذيب لجميع شعوب القارة، حتى لا يتظلم أحد منهم على الآخر، بحيث نريد قبل كل شيء من الثقافة أن تكمل ما هو ناقص في كل واحد منا، بمعنى آخر أن تجعل منا ليس ذلك الرجل المتخصص، بل الرجل القادر لا على ألقاء درس أو محاضرة في جميع المواضيع ولكن القادر على استيعاب أفكار أي اختصاصي كان، يهضمها كما شاء وكيفما كانت قدرة هضمه ولو حتى كان متطفلا على بعض المواضيع كما هو شأننا الآن.

فلهذا، اننا نسر كل السرور كلما رأينا أن مؤسسة هدانا الله الى تأسيسها كدار الحديث الحسنية، أثارت حولها، لا أقول النيران ولكن الاشعاعات، ولو كانت متضادة أو مختلفة، فلنا اليقين أنها ستصبح يوما ما متوازية لأن مرمانا واحد ولأن هدفنا موحد.

وهنا أعتقد أنه يجب فتح باب الاجتهاد، الاجتهاد في وضع برامج وخطط دار الحديث الحسنية، إنني

لا أريد أن يقال عن الدين الاسلامي أنه يكون وعاظا ومرشدين، لأن الوعظ والارشاد في متناول كل رجل يعلم دينه ويعرف كيف يُبلغه، فإذا كان الرجل فاهما لدينه، ماسكا بفلسفته ودوافع المشرع، وإذا أعطاه الله سبحانه وتعالى من ذلاقة اللسان ونضارة الوجه ومرونة الأخلاق تمكن إذ ذاك أن يكون واعظا ومرشدا.

الديانة الاسلامية في الحقيقة لا تحتاج الى وعظ ولا تحتاج الى إرشاد، بل تحتاج الى تبيين، لماذا؟ لأن الديانة الاسلامية تعايشنا كأوكسجين، أكلنا نقول باسم الله، استيقظنا نقول باسم الله، تزوجنا على الكتاب والسنة، إذا طلقنا طلقنا على الكتاب والسنة، إذا تبايعنا الخ، كل المعاملات الدينية والدنيوية مختلطة ممتزجة بالديانة الاسلامية، إذن فلسنا في حاجة إلى أساتذة مختصين لتعليمنا الدّيانة الاسلامية التي نعايشها وتمازج أرواحنا ودماءنا، إنما نحن في حاجة الى أطباء، أطباء تغذية، لأن هناك المخمصة، وهنا التخمة، فعلينا ألا نكون في مخمصة ولا في التخم، بل علينا أن نجد من يطعمنا ويغذينا على قدر عقولنا ومستوى تفكيرنا، وبالطبع حينما يرتفع المستوى الى مستوى العلماء، ولا يدخل دار الحديث إلا العلماء والمثقفون وحملة الشهادات، تكثر المذاهب وتسل السيوف وتصهل الخيول، والحقيقة أننا كنا نريد هذا، ونحمد الله سبحانه وتعالى على أن أعطانا منطلقا جديدا لنتبارى ولنستعمل ما وهبنا الله من تنافس ومن روح سباقة للخيرات.

وإننا لنرجو الله سبحانه وتعالى أن يهدي الجميع أساتذة كانوا أو وزراء مشرفين على دار الحديث أو مديرين لها، حتى ياتونا إما جماعة أو فرادى، شخصيا لا أشترط الجماعة، لأن الله سبحانه وتعالى بنفسه لم يرد الجماعة وإلا لما كان يوم الحساب.

المهم هو أن تأتينا الآراء متفرقة أو مجتمعة حتى نهتدي نحن بنفسنا لا الى اختيار منهج — إن في هذا الباب أعتقد أن الاطلاق من المستحيل — بل نخطط لتطبيق مناهج على مستطاع الأساتذة والطلبة أولا وبالنظر الى الحاجات أو الحاجيات التي نحن فيها، إما بالنسبة للتفسير أو بالنسبة للتشريع أو بالنسبة لعموم الرياضيات وتطبيقها على الدين والمعاملات الاسلامية.

فإذن كما قلت، أنني منذ سنين كنت أنتظر جلسة مثل هذه ولكن المهم هو أن يأتي الخير ولو تأخر.

هذا دليل على أن مدرسة الحديث الحسنية ما زالت حية، وأن شرايينها ما زالت قادرة على حمل الدم، وأن قلبها ما زال ينبض بالمنافسة المستحبة والتطلع الى النجاح.

وأسأل الله سبحانه وتعالى ببركة هذا الشهر وببركة تلاوة الكتاب وتفسير سنة النبي صلى الله عليه وسلم، أن يهدينا الى أحسن طريق، لنتمكن من تجديد دار الحديث الحسنية لا كل مئة سنة، بل كل عشر سنوات، إنه سبحانه وتعالى مجيب الدعاء.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الجمعة 6 رمضان 1398 — 11 غشت 1978